

التبيان في تفسير القرآن

(406) النزول: وقال ابن عباس، وقتادة وابن اسحاق: إن هذه الآية نزلت لما هلكت قريش يوم بدر، فجمع النبي (صلى الله عليه وآله) اليهود بسوق قينقاع فدعاهم إلى الاسلام وحذرهم مثل ما نزل بقريش من الانتقام، فقالوا: لسنا كقريش الاغمار الذين لا يعرفون القتال، لئن حاربنا لتعرفن البأس. فانزل الله " قل للذين كفروا سيغلبون ويحشرون " الآية المعنى: ومعنى " وبئس المهاد " قال مجاهد: بئس ما مهدوا، لانفسهم. وقال الحسن: معناه بئس القرار، وقيل بئس الفراش الممهد لهم، وقال البلخي: لا يجوز الوعد، والوعيد بغير شرط، لان فيه بأسا من الايمان أو الكفر وذلك بمنزلة الصد عنه. وتأول الآية على حذف الشرط، فكأنه قال: وبئس المهاد لمن مات على كفره غير تائب منه. وقال الرماني: وهذا لا يصح من قبل أن السورة قد دلت على معنى الوعد من غير شرط يوجب الشك، فلو كان في قطع الوعيد بأس بمنزلة الصد عن الايمان لكان في قطع الوعد بأمان ما يوجب الاتكال عليه دون ما يلزم من الاجتهاد. والذي يخرج من ذلك أن العقاب من أجل الكفر كما أن الثواب من أجل الايمان. وهذا ليس بشئ، لان للبلخي أن يشترط الوعد بالثواب بانتفاء ما يبطله من الكبائر، كما أنه شرط الوعيد بالعقاب بانتفاء ما يزيله من التوبة، فقد سوى بين الامرين. وقال البلخي والجبائي: قوله: " وبئس المهاد " مجاز كما قيل للمرض: شر، وإن كان خيرا من جهة أنه حكمة، وصواب، فقليل لجهنم " بئس المهاد " لعظيم الالام، لان أصل نعم وبئس: الحمد، والذم إلا أنه كثر استعماله في المنافع، والمضار حتى سقط عن اسم مجاز. وإن كان مغيرا عن أصله. وفي الآية دلالة على صحة نبوة النبي (صلى الله عليه وآله) لانها تضمنت الخبر عما يكون من